مختصر الفوائد من مهمات العقائد

الدكتور محمد عبد الرحمن الشيخ محمد الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقدم، المتعالي عن الشبه والكيف والكم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي به كمل الرسالات وختم، وعلى آله وأصحابه، وأمته خير الأمم، وبعد:

فإن علم العقائد أهم ما اعتنى به الباحث في العلوم الشرعية، إذ هو أساسها ومنطلقها الذي لا يعذر أحد بجهله، لكن صبغة الفلسفة التي صبغه بها المتكلمون عقدته على غير المختصين، ومن المحال أن يربط الله الإيمان به إلا بما يدركه الغبي والجاهل، وإلا كان الخطاب خاصا بطائفة قليلة من الأمة، أو كان تكليفا بما لا طاقة للإنسان به، لذلك نظمت أبياتا مختصرة جامعة حاولت فيها المقاربة بين الاتجاهات الثلاثة في مجال العقائد وهي:

طائفة أهل الحديث الذين تمسكوا بظاهر النصوص الواردة، ولو كان ظاهرها الظني مخالفا للقطعيات، أو كانت من المتشابهات التي ترد إلى المحكمات، فنسبوا إلى التجسيم.

طائفة المتكلمين الذين أدخلوا العقل في تأويل النصوص، ولو كان تأويلا ضعيفا من حيث الوضع اللغوي حتى رماهم الأولون بالتعطيل، كما رموا هم الأولين بالتجسيم.

طائفة الصوفية الذين اعتمدوا على الادراكات الروحية التي يصعب ضبطها، أو التعبير عنها بمدركات الحس، فكان لهم قاموسهم الإشاري الذي لا يخضع للوضع اللغوي، ولا للتصور العقلي لدقة الروحانيات، وصعوبة ترجمتها إلى المعرفة الكسبية المتاحة للباحث، فرماهم البعض بالزندقة، لحمله كلامهم إلى محامل وضعية أو عرفية بعيدة عن مداركهم، وأصول معارفهم، فكان حكما عن جهل.

فقلت مستعينا بالله تعالى:

الفصل الأول: في طرق الاستدلال

الحمد لله الذي أنارا	**طرق الاستدلال فاستنارا**
منهاجُه بمدرك الحواس	**في الأرض والسماء والرواس**

ونصب الآيات للعقول	ليهتدوا بالدال للمدلول
وأرسل الرسل بالتوحيد	لربنا المعظم المجيد
فعلقت أرواحهم بربها	وأخرجوا النفوس من حجابها
فأدركت لما غدت مهذبه	غوامضا لم ترها المحتجبة
صلى وسلم على نور الهدى	خاتم رسل الله أعني أحمدا
وآله وصحبه الموحدين	وتابعيهم وتالي التابعين

بين في هذه الأبيات أن الثناء مستحق لله الذي أبان لعباده طرق الاستدلال بما نصبه من الآيات المحسوسة الدالة عليه، والآيات المنزلة على رسله، والآيات التي أودعها في العقول والأرواح المنصرفة ضرورة إلى العبودية الخاضعة للربوبية، وفي هذا كله براعة استهلال لما سيأتي من مسالك الاستدلال.

الفصل الثاني: في ذكر طوائف أهل السنة

وبعد فالعقائد السنية	لعلماء الملّة المحمية
تحوم حول غاية التنزيه	من غير تعطيل ولا تشبيه
لكنها حسب الاصطلاح	ذات اختلاف غير ذي جناح
فللكلام حجة مقبولة	تجمع بين النص والحمولة
وما من المحسوس والمعقول	تصهره حرارة العقول
مع كامل التنزيه للقيوم	عن مدركات العقل والفهوم

بين في هذه الأبيات أن أهل السنة من أهل الحديث، والمتكلمين، وأهل الأرواح تدور مقالاتهم حول تنزيه الله بإثبات كل كمال ونفي كل نقص، والخلاف بينهم خلاف في المنهج لا في المبادئ والأصول، فلكل طائفة مصطلحات في حمولة الألفاظ واصطلاحات تواطئية تحكمها الحقيقة العرفية عندهم.

ومعلوم أن الحقائق تنقسم إلى وضعية "لغوية"، وإلى عرفية استعمالية، وإلى شرعية، والمباني أوعية المعاني، والمقاصد مخصصة لظواهر الألفاظ.

وقوله: "فللكلام حجة..." يعني أن المتكلمين من أهل السنة، كالأشعري والماتريدي، ومن بعدهم الباقلاني، وإمام الحرمين، وابن دقيق العيد وغيرهم من الأئمة الذين وقفوا في مواجهة الفرق من الملحدين والمتفلسفين، الذين هاجموا الإسلام وفتنوا أهل السنة بشبهات عقلانية، وفلسفية تركت الحليم حيرانا، فكانت ضرباتهم أفسد للأمة من ضربات أعداء الإسلام، حتى كفى الله شرهم بأسلحة مضادة من جنس ألسنتهم، وأشد قوة في باب الإقناع، تجمع بين النص والعقل والمحسوس، وتصهرهما حرارة الفهم حتى يصير المركب بسيطا عند المناظرة، والبعيد قريبا عند الحيرة، مع كامل التنزيه، والفرق بين عالم الغيب والشهادة:

وللمحدث على النص وقوف	**بحسب الظاهر حوله يطوف**

ذكر في هذا البيت أن المحدثين وقفوا مع النصوص السمعية، ولم يسمحوا لأنفسهم بالخوض فيما خاض فيه المتكلمون لعدم تسليمهم بجواز خوض غمار الفلسفات التي وضعتها عقول بشرية قد تخطئ وقد تصيب، وقد خدموا الأمة في حفظ الأدلة النقلية، وبيان صحيحها من ضعيفها.

كما خدم المتكلمون العقيدة في رد شبهات الفرق من: قدرية، وجبرية، ومعتزلة، وباطنية ...

وربما عبر ذو الكشوف	**عن مدرك الروح بلا تحريف**
ولم تساعف دركه العبارهْ	**فيلتجي للغة الإشارهْ**
فيحسب الجاهل بالمبادي	**تعارضا في طرق السداد**
وإنما ذا الخُلف في مجال	**الوضع والحمل والاستعمال**
لذا أردت أن أبين هنا	**عقيدة تبلّغ الكل المنى**
جل اعتمادها على النور المبين	**وما به فتح رب العالمين**

ذكر أن هناك طائفة ثالثة وهي أصحاب الأرواح من أهل الرياضات والتزكية قد تنكشف لهم حقائق إيمانية يشهدونها في عالم المثال فيحاولون الرمز إليها بلسان التعبير فتظهر وكأنها مباينة لمدارك النقل والعقل، والحقيقة أنها موافقة فيما هو قائم في نفس المعبر وما شاهده في عالم المثال، ولكن ترجمتها يقصر عنها التعبير.

وقد عد الإمام الغزالي في كتابه ميزان العمل طرق اكتشاف المعارف، وذكر أن الروح عند صفائها تتلقى المعارف من عالمها بلا واسطة، وكذلك عبد الرؤوف المناوي في شرحه لقصيدة النفس لابن

سينا، فتبقى مدركات العقل والروح محكومة بالنصوص، فتؤول على مقتضاها ولا تؤول بها النصوص القطعية لعصمة النص وعدم عصمتها.

وقد أشار الناظم إلى أن جل اعتماده في هذا المختصر على كتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين لمحمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي المتوفى سنة (٧٤١ه). كما قارن بين الإنصاف للباقلاني، ولمع الأدلة للجويني، وغيرها.

الفصل الثالث: في إثبات صفة الوجود لله

أدلة الوجود للمعبود	واضحة لغير ذي حجود
كخلقه للأرض والسما وما	بثّ من الدواب أيضا فيما
وغير ذاك من بديع صنعه	على اختلاف جنسه ونوعه
فهذه تدل باتفاق	على وجود مبدع خلاق
واتفقت رسالة السماء	على وجود رب ذي الأشياء
فمن أجاب رسل التوحيد	أمِن من سوابق الوعيد
ومن أبى ولجّ في المجون	أُهلك أو ذاق عذاب الهون

إن ثبوت وجود الباري جل جلاله غني عن الاستدلال إلا من طمس الله بصيرته، أو تدنست بمخاريق ترهات الطبائعيين سريرته، ونسلك إلى إثبات وجوده ثلاثة مسالك:

المسلك الأول: الاستدلال بالمحسوسات من الأرض والسماوات وما بث فيهما وما أجرى فيهما من الأفلاك وتصرف فيهما من الحركات والسكنات، فإنها دالة بذاتها على أن صانعا صنعها، وخالقا أبدعها، قال تعالى:{إن في خلق السماوات... آيات لقوم يعقلون}[1]. وكل ما جاء في القرآن من الموجودات يدل على هذا، وقد أورد ابن جزي في كتابه النور المبين أدلة كثيرة وردودا على اعتراضات قد ترد من المكذبين، فليراجعه من يريد التوسع في إقامة البراهين، وكذلك الباقلاني في كتابه الإنصاف فيما يجب اعتقاده فقد أطال الرد على الاعتراضات المحتملة.

المسلك الثاني: الاستدلال بأخبار الأنبياء الذين دعوا المكذبين والمشركين والمتألهين إلى توحيد الله، وأيدهم الله بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر عليها غير الله من إحياء الموتى، وإخراج الناقة

١. البقرة: ١٦٤.

والفصيل من الصخرة الصماء، وانشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الدالة على صدق ما قالوه، وربوبية من دعوا إليه.

المسلك الثالث: أن وجود الله تعالى تشهد به الفطرة السليمة، ويدل عليه الفكر بديهة، فإن كل إنسان يجد من نفسه افتقار العبودية، ويحس أنه تحت قهر الربوبية، فيعلم قطعا أنه لابد لهذه المملكة العظيمة من ملك عظيم، ولابد لهذا التدبير المحكم من مدبر حكيم، قال الله تعالى:{فأقم وجهك ..}[٢]. قال في التسهيل: فطرت الله منصوب على المصدر أو بفعل مضمر تقديره الزموا فطرت الله، أو عليكم فطرت الله إذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة، وإنما كفر من كفر لعارض أخرجه عن أصل فطرته، كما في حديث البخاري: [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه][٣].

ولأجل ما جبلت عليه النفوس من معرفة الله تعالى، قالت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، {أفي الله شك...}[٤].

الفصل الرابع: في التوحيد

ومطلق الوحدة لله الصمد	**في قوله جل: هو الله أحد**
ووحدة الفاعل من مسلمات	**عقولنا كما نرى في المدركات**

لقد قامت الأدلة النقلية والعقلية على أن الله إله واحد لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له، ولا والد له ولا زوجة له كما قال تعالى: {قل هو الله أحد...}[٥]. وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود أدلة وحدانيته سبحانه، وليس بعد بيان الله بيان، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن كل شيء مخلوق فإنما يخلقه خالق واحد لأن الفعل الواحد لا يصدر من فاعلين، وهذا من المسلمات البدهية، قال تعالى:{ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون...}[٦]. وقال تعالى:{هذا خلق الله...}[٧].

٢.الروم:٣٠

٣. البخاري: ١٣١٩.

٤. إبراهيم: ١٠.

٥. الإخلاص:١.

الوجه الثاني: أن الدليل قد دل على أن كل موجود سوى الله تعالى فهو محدث مخلوق، والمخلوق لا يكون شريك خالقه ولا مماثلا له، وفي هذا المعنى قال تعالى:{إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم}[٨]. وقال تعالى:{قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء}[٩].

الوجه الثالث: أنا لو فرضنا إلهين فأراد أحدهما موت شخص وأراد الآخر حياته فتنفيذ إرادة كل واحد منهما مستحيل، فإن توقفت إرادتهما كان ذلك عجزا، وإن نفذت إرادة أحدهما فهو الإله والثاني ليس بإله؛ لأنه مقهور مغلوب، وهذا معنى قوله تعالى:{لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا}[١٠]. فاقتضت الآية أمرين: الأول نفي تعدد الآلهة بالبرهان، والثاني: إثبات أن يكون الواحد هو الله تعالى.

الوجه الرابع: أنا لو فرضنا إلهين خالقين لكان كل واحد منهما منفرد بمخلوقاته دون الآخر، ولما وجدنا المخلوقات كلها مرتبطة بعضها ببعض وجارية على تدبير وتقدير محكم علمنا أن خالقها ومدبرها واحد، قال تعالى:{ما اتخذ الله من ولد...}[١١].

وقد أطال ابن جزي في كتاب النور المبين الأدلة والردود على المشركين من أهل الكتاب وعبدة الأوثان فليرجع إليه من يريد مناظرتهم ورد شبههم.

الفصل الخامس: في إثبات صفات الله

كل كمال فهو وصف ذي الكمال	**وضده في حقه من المحال**
وكنهها فرع لكنه الذات	**يجل عن درك التصورات**
حي عليم متكلم بصير	**وهو السميع والمريد والقدير**
آثار صنعه مع المنقول	**واضحة البيان للعقول**

---

٦. الفرقان:٣.

٧. لقمان:١١.

٨. الأعراف:١٩٤.

٩. الأنعام:١٦٤.

١٠. الأنبياء:٢٢.

١١. المؤمنون:٩١.

ومطلق التفويض والإيمان ولم يكلف ربنا الرحيم	هو الذي في قدرة الإنسان بدرك ما اختص به العليم

أخبر أن الله تعالى يجب في حقه كل وصف كمال، ويستحيل في حقه كل نقص لثبوت ذلك بالنص والعقل والإجماع، قال تعالى:{لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء}[١٢].

وقال تعالى:{وتوكل على الحي الذي لا يموت}[١٣]. وقال:{والله بكل شيء عليم}[١٤]. وقال:{ والله سميع بصير}[١٥].وقال: {والله على كل شيء قدير}[١٦].إلى غير ذلك من الآيات، ويتجلى أثر هذه الصفات في إحكام مصنوعاته وإتقان مخلوقاته، قال تعالى:{الذي أحسن كل شيء خله}[١٧]. ودل تخصيصه لها بأشكالها وأزمانها على إرادته، وهذا معنى قول الناظم:"آثار صنعه مع النقول" ...

وأما كنه هذه الصفات فهو فرع عن كنه الذات فإذا كانت الفرق كلها تفوض في الذات ولا تبحث في ماهيتها لتنزيهها عن الماهية وتعاليها عن مدركات الحس والفكر، فإن الصفة كذلك نؤمن بها وفق ما ورد مع التنزيه التام عن ما يخطر في الجوانح من التصورات، قال تعالى:{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}

ثم بينا في البيت الأخير أن هذا القدر من الإيمان كاف في التوحيد والمعرفة إذْ عجزنا عن إدراكه إدراك... ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

الفصل السادس: في تنزيه الله تعالى

بقاطع العقل وقطعي النص وما تشابه من الآيات وجب الإيمان مع التنزيه لأن ذا طريقة الصحابهْ	منزه سبحانه عن نقص أو الآحاديث عن الثقات به بلا تعطيل أو تشبيه وتابعيهم من ذوي الإصابهْ

١٢.آل عمران:٥.

١٣. الفرقان:٥٨.

١٤. البقرة:٨٢.

١٥.الحج:٧٥.

١٦. البقرة:٢٨٤.

١٧. السجدة:٧.

قـــد أثبتت لـــه الكـــمالَ الأســـنى	صـــفـــاتُه مـــع الأســـامي الحســـنى
ونفـــت الأضـــداد عـــنه جـــلا	سبحـانه فـــهو العـــلي الأعـــلى

يعني أن قواطع الأدلة العقلية والنقلية حاكمة بتنزيه الله تعالى عن كل نقص، وهذا معنى قولنا سبحان الله، أي أنزه الله عن كل نقص، فلا يلحقه سبحانه عجز ولا قصور، كما قال في كتابه:{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض}[١٨]. وقال:{ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب}[١٩]. واللغوب الإعياء والتعب.

وهو سبحانه منزه عن النوم والغفلة كما قال تعالى:{لا تأخذه سنة ولا نوم}[٢٠]. ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان{لا يضل ربي ولا ينسى}[٢١].وهو عدل في جميع أحكامه وأفعاله، لا يظلم ولا يجور فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل؛ لأنه مالك كل شيء وللمالك أن يفعل في ملكه ما يشاء ويتصرف في عباده كما يشاء، قال تعالى:{لا يسأل عما يفعل وهم يسألون}[٢٢]. ويجب تنزيهه مطلقا عن مشابهة جميع مخلوقاته، قال تعالى:{ليس كمثله شيء وهو السميع العليم}[٢٣].

وقد وردت في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى:{على العرش استوى}[٢٤]. وحديث النزول وغير ذلك فيجب على العبد أن يؤمن بها من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل، ويكل علمها إلى الله تعالى، قال ابن جزي: وهذا طريقة التسليم التي تقود إلى السلامة، وهي التي أثنى الله على من اتصف بها بقوله تعالى:{والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عندربنا}[٢٥].وعلى هذا كان الصحابة والتابعون والأئمة المقتدى بهم من سلف الأمة الصالح، وأما ما ذكر المتأخرون من تأويل للمتشابه عند ضيق الصدر عن التفويض فهو علاج آني، وليس مذهبا عقديا كمقرر في الدراسات العقدية؛ لأن الهروب من التشبيه إلى التأويل يفضي إلى شبه أخرى تستوقف الطالب البسيط عند مروره على النص، والسلامة في التسليم.

الفصل السابع: في إثبات النبوات

---

[١٨].فاطر:٤٤.

[١٩].ق:٣٨.

[٢٠].البقرة:٥٥.

[٢١]. طه:٥٢.

[٢٢]. الأنبياء:٢٣.

[٢٣].الشورى:١١.

[٢٤]. طه:٥.

[٢٥].آل عمران:٧.

قـــــد أُرْســـــل الرســـلُ بـــــالبيان	لـــقطع حـــجة بـــني الإنـــسان
وأيـــــدوا بمعجـــــزات بـــــاهرهْ	وبكمـــــالات خصـــــوص ظـــــاهرهْ
فبينـــــوا عـــــن ربنـــــا المعبـــــود	مـــــا للشـــــريعة مـــــن الحـــــدود
وخـــــتمَ الكُتُـــــبَ والأرســـــالا	لحكمـــــةٍ يعلمهـــــا تعـــــالى
بأفضـــــل الخلـــــق وأشـــــرف العـــــرب	ورحمـــــة العـــــالم كاشـــــف الكُـــــرب
محمـــــد وأنـــــزل القرآنـــــا	هـــــدى ونـــــورا محكمـــــا تبيانـــــا
مهيمنـــــا مصـــــدقا وشـــــاهدا	علـــى الـــذي أنـــزل مـــن نـــور الهـــدى

يعني أن الله أرسل الرسل إلى الخلق وأنزل عليهم الكتب لإقامة الحجة عليهم وقطع معاذيرهم، وأقام البراهين والآيات على صدقهم بما أظهر على أيديهم من المعجزات وخوارق العادات قال تعالى:{لقد أرسلنا رسلنا بالبينات}[٢٦]. وقال صلى الله عليه وسلم:[ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر...][٢٧]. وفي بعث الأنبياء وجوه من الحكمة:

أولا: أن عقول الناس تختلف ومذاهبهم تتباين، فبعث الله الأنبياء عليهم السلام ليبينوا للناس ما اختلفوا فيه، قال تعالى:{كان الناس أمة واحدة...}[٢٨].

ثانيا: أن الله خلق الخلق ليعبدوه، وشرع لهم شرائع من الأمر والنهي يقفون عندها، وجعل الأنبياء واسطة بينه وبين عباده ليبلغوهم عنه ما شرع لهم، وأوجب طاعتهم على خلقه فقال تعالى:{وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله}[٢٩].

ثالثا: أن بعثة الرسل لقطع معاذير الخلق، قال تعالى:{رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}[٣٠].

وقد ختمت الرسالات بالرسالة المحمدية فختم بشريعته جميع الشرائع، وأرسله إلى الناس كافة، و لم يكن ذلك لنبي قبله، فلم يقبل الله بعد بعثته أي دين من الأديان التي قبله، قال تعالى:{ومن يبتغ

---

[٢٦]. الحديد:٥.

[٢٧]. متفق عليه.

[٢٨].البقرة:٢١٣.

[٢٩]. النساء:٦٤.

[٣٠]. النساء:١٦٥.

غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}[٣١]. وقال تعالى:{قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا}[٣٢]. ويدل على رسالته أدلة كثيرة منها:

أولا: القرآن المجيد الذي أنزله الله عليه، والذي أعجز الجن والإنس أن تأتوا بسورة من مثله فهو المعجزة الخالدة المتجددة إلى يوم القيامة، فيه الهدى والنور والتبيان لكل شيء، وهو المهيمن والشاهد المصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة.

ثانيا:ما أيده الله به من المعجزات الباهرات كانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وتكثير القليل، والإخبار بالمغيبات ووقوعها على وفق ما أخبر، وتسبيح الحصى بيده، وتسليم الحجر عليه، وتكليم الجمادات له كالغزالة والبعير والضب والذئب، وحنين الجذع، وظهور البركة في رقيته وقلبه للأعيان كالبئر التي كانت أجاجا فصارت عذبا فراتا بريقه.

ثالثا:بشارة الأنبياء به عبر العصور قال تعالى:{الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والإنجيل}[٣٣].

الفصل الثامن: الإيمان بالملائكة:

ويجب الإيمان بالأملاك	أنشأهم مصور الأفلاك
خلقهم سبحانه من نور	يسبحونه مدى الدهور

الملائكة عباد مكرمون أثنى الله عليهم بقوله:{بل عباد مكرمون...وهم من خشيته مشفقون}[٣٤]. وقال:{ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون}[٣٥]. فمنهم رسل إلى الأنبياء، ومنهم موكلون بقبض الأرواح، ومنهم حفظة على بني آدم، ومنهم غير هؤلاء، ولا يحيط بعلمهم إلا الله تعالى.

والإيمان بالملائكة واجب؛ لأن الله تعالى قال:{ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا}[٣٦].

---

[٣١]. آل عمران:٤٠.

[٣٢]. الأعراف:١٥٨.

[٣٣].الأعراف:١٥٧.

[٣٤].الأنبياء:٣٦. ٣٨.

[٣٥].الأنبياء:٢٠.

[٣٦]. النساء:١٣٦.

وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام فقال:[أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره][٣٧]. ومن الملائكة حفظة يحفظون الإنسان، وكتبة للأعمال، وطوافون في الأرض، وحافون بالعرش وحملة له، ولا يعلم عددهم إلا الله.

الفصل التاسع: في الخلفاء الراشدين

والخلفا بدرهُم الصديق	فعمر من بعده الفاروق
فبعده عثمان ذو النورين	ثم علي والد السبطين
هم العدول السادة الأئمةْ	عليهم إجماع كل الأمَّةْ

يعني أنه يجب الإيمان بأن الخلفاء الأربعة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وهم: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان بن عفان، وأبو السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

فأما أبو بكر فهو ذو الخلال عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن مسعود بن تيم بن مرّة، تولى الخلافة بإجماع الصحابة مدة سنتين وبضعة أشهر، تصدى خلالها للمرتدين والمتنبئين، فحكم فيهم السيف حتى قضى على دعواهم الباطلة، وأعاد المناطق المنشقة على الخلافة إلى الطاعة، ولما أحس بالوفاة عهد إلى عمر الفاروق، توفي أبو بكر رضي الله عنه سنة ١٣ه.

وأما عمر فهو: أبو حفص عمر بن الخطاب بن نوفل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، كانت مدة ولايته عشر سنين وستة أشهر أو أربعة أشهر، أجلى اليهود عن جزيرة العرب، وتابعت جيوش الإسلام التقدم في دولة فارس والبلاد التي تتبعها، وفي دولة الروم والمناطق التي تخضع لها، وكانت النتيجة أن زالت دولة فارس، ودان شعبها بالإسلام، وتقهقرت دولة الروم وتراجعت فانسحبت من مصر والشام وجزء من الأناضول، وتوسعت ديار الإسلام، ومصرت الأمصار، ووضع النظام الإداري والمالي للدولة، وقتل الخليفة سنة ٢٣ه قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة.

وترك الأمر شورى بين ستة من الصحابة هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير ابن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم، بايع الستة الشورى عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، بويع يوم الجمعة

---

[٣٧]. مسلم.

غرة محرم، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وبضعة أيام، ثم قتل في الدار شهيدا، ليلة الجمعة لليلة بقيت من ذي الحجة.

حاصره الكوفيون وعليهم الأشتر النخعي، والمصريون وعليهم عبد الرحمن بن عديس وعمرو بن الجعد، وسودان بن حمرا، ومحمد بن أبي بكر.

فتحت في عهده ملطية، وغزيت سورية، والمضيق والسواري أو الصواري، ت: ٣٥ه.

رابع الخلفاء هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب بويع له بالخلافة بعد قتل عثمان، وأقام في الخلافة خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، واستشهد ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة أربعين للهجرة، قتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجي.

كانت بينه وبين جيوش الشام بقيادة معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه نحو تسعين وقعة، وكان النصر حليفه في كل الوقائع.

والأصل أن موضوع الخلافة من باب المسائل الشرعية والسير والتاريخ، إلا أن الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة ـوهي أصول الفرق كلهاـ كانت نتيجة لصراعات داخلية حول الخلافة وبنت مذاهبها العقدية على ذلك، فاستدعى ذلك أن يدخل هذا الموضوع ضمن المباحث العقدية.

الفصل العاشر: في أشراط الساعة

ويجب الإيمان بالذي ورد	به الدليل من أمارات تعد
قبل فناء الخلق كالدجال	وما ليأجوج من الأهوال
خروج دابة طلوع الشمس من	مغربها مع الهلال في قرَن

يعني أنه يجب الإيمان بما ورد من علامات الساعة الدالة على قربها كخروج الدجال وهو الذي كان رسول الله صلى الله يتعوذ منه ويأمرنا بالتعوذ من فتنته، وكذلك خروج ياجوج وماجوج قال تعالى:{حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج}[٣٨]. وكذلك خروج الدابة قال تعالى:{وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم}[٣٩]. وكذلك طلوع الشمس من مغربها مع القمر مقرونان كقران البعير، قال تعالى:{يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من

[٣٨].الأنبياء:٩٧.

[٣٩]. النمل:٨٢.

قبل أو كسبت في إيمانها خيرا}[٤٠]. وذلك حين يغلق باب التوبة، وكذلك نزول عيسى ابن مريم الوارد في الكتاب والسنة حكما عدلا يقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بشريعة الإسلام.

وغـــــير ذلـــــك مـــــن لآيـــــات		ممـــــا مـــــن الأشـــــراط أيضـــــا يـــــأتي

فقد روى مسلم بسنده إلى حذيفة بن أسيد قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا، فقال: ما تذكرون؟ " قلنا: الساعة، قال: " إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس".

وفي الصحيحين من حديث إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس أتدري أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم}.

قال الناظم:

ومـــــا أتـــــى مـــــن فـــــتن في القـــــبر		والبعـــــث والنشـــــر كـــــذا والحشـــــر

يعني أنه يجب الإيمان بسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، وإليها الإشارة بقوله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}[٤١]، وفي صحيح البخاري: عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه و سلم ؟ فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك في النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة)، قال النبي صلى الله عليه و سلم: (فيراهما جميعا)، وأما الكافر

[٤٠]. الأنعام:١٥٨.

[٤١] [إبراهيم: ٢٧].

أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)، أخرجه البخاري ومسلم.

وأحاديث نعيم القبر وعذابه كثيرة صحيحة رواها الشيخان وأصحاب السنن عن جماعة من الصحابة منهم أبو سعيد الخدري، وأبو أيوب الأنصاري، وعائشة، وعثمان بن عفان، والبراء بن عازب، وأسماء بنت أبي بكر، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

كما يجب الإيمان بالبعث وهو الحياة بعد الموت، والنشر من القبور والحشر للموقف، قال تعالى: (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم)[٤٢]، قال ابن جزي في التسهيل: (هذه الآية وما بعدها إلى آخر السورة براهين على الحشر يوم القيامة، ورد على من أنكر ذلك)[٤٣].

قال الناظم:

وفي القيامة القصاص والحساب		ووزن الاعمال قراءة الكتاب
وكوثر النبي والشفاعهْ		أماننا من هول تلك الساعه
ثم العبور حسب الأعمال		على الصراط بعد ذي الأهوال

يعني أنه يجب الإيمان بمشاهد يوم القيامة، من هذه المشاهد القصاص لقوله تعالى: (وقضي بينهم بالحق) الزمر ٦٩، ووردت بذلك أحاديث وآثار عن جمع من الصحابة، وأجمع على ذلك المسلمون.

ومنها: الحساب لقوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}[٤٤]، ولحديث مسلم: (من نوقش الحساب عذب).

ومنها وزن الأعمال، لقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}[٤٥]، وقوله: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ}[٤٦].

---

[٤٢] (يس ٧٩).
[٤٣] التسهيل لعلوم التنزيل (٢/ ١٨٧).
[٤٤] [الحجر: ٩٢].
[٤٥] [الأنبياء: ٤٧].
[٤٦] [الأعراف: ٨].

وأما قراءة الكتاب فيدل عليها قوله تعالى: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) [٤٧]، وقوله تعالى: (فأما من أوتي كتابه بيمينه)[٤٨]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

ومنها: الكوثر: وهو حوض النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: (إنا أعطيناك الكوثر)[٤٩]، ولما رواه الشيخان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدا».

ومنها الشفاعة: لقوله تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)[٥٠]، ولما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا».

وقول الناظم: أماننا من هول تلك الساعة، إخبار عن هذا الحديث، وإنشاء أيضا بطلب نيل تلك الشفاعة المنجية من أهوال تلك المشاهد.

ومن تلك المشاهد العبور على الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم لقوله تعالى: (وإن منكم إلا واردها)[٥١]، وقوله: (فاهدوهم إلى صراط الجحيم)[٥٢]، ولما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يضرب الجسر على جهنم، ... قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: " دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ـــ تكون بنجد ـــ فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم)، فاللهم سلم سلم.

قال الناظم:

---

[٤٧] [الإسراء: ١٣].
[٤٨] [الحاقة: ١٩].
[٤٩] [الكوثر: ١].
[٥٠] [الإسراء: ٧٩].
[٥١] [مريم: ٧١].
[٥٢] [الصافات: ٢٣].

ويجـــــب الإيمـــــان بالجِنـــــان		دار كرامـــــــــة أولى الإيمـــــــــان
وهكـــــذا الإيمـــــان بـــــالنيران		دار العـــــذاب لـــــذوي الكفـــــران

يعني أنه يجب الإيمان بالجِنان دار الكرامة لأهل السعادة ينعمون فيها بأصناف النعيم من المآكل، والمشارب، والنساء، والخَدَم، والملابس، والقصور، وغير ذلك لقوله تعالى: (ولمن خاف مقام ربه جنتان)[٥٣]، ولقوله: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)[٥٤]، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة.

وأجل ذلك النعيم إكرامهم بالنظر إلى الله تعالى، قال جل من قائل: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)[٥٥].

ونعيم أهل الجنة دائم غير منقطع لقوله تعالى: (خالدين فيها أبدا)[النساء: ٥٧]، وقوله: (وما هم منها بمخرجين)[٥٦].

وقد تواترت بذلك الأحاديث والأخبار وأجمع عليه المسلمون.

كما أنه يجب الإيمان بالنيران دار العذاب والعقاب للكفار ومن نفذ فيه الوعيد من أهل العصيان، لقوله تعالى: (إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا)[٥٧]، وقوله: (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها)[٥٨].

فأما الكفار فلا بد أن يدخلوها ويخلدون فيها خلودا دائما لا انقطاع له، لقوله تعالى: (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)[٥٩]، وقوله: (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)[٦٠]، وأجمع على ذلك المسلمون.

وأما المذنبون من المومنين فمنهم من يعفو الله عنه فلا يدخله النار، قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)[٦١]، وفي هذه الآية رد قاطع على الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة.

---

[٥٣] [الرحمن: ٤٦].
[٥٤] [الإنسان: ١٢].
[٥٥] [القيامة: ٢٢].
[٥٦] [الحجر: ٤٨].
[٥٧] [النبأ: ٢١].
[٥٨] [الكهف: ٢٩].
[٥٩] [فاطر: ٣٦].
[٦٠] [البقرة: ٣٩].

قال ابن جزي في القوانين الفقهية: (إنما يدخل من المؤمنين النار من اجتمعت فيه سبعة أوصاف:

(أحدها) أن تكون له ذنوب تحرزا من المتقين.

(الثاني) أن يموت غير تائب من ذنوبه فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(الثالث) أن تكون ذنوبه كبائر فإن الصغائر تغفر باجتناب الكبائر.

(الرابع) أن لا تثقل حسناته فلو رجحت على سيآته ولو بوزن ذرة نجا من النار.

(الخامس) أن لا يكون ممن له النجاة بعمل سابق كأهل بدر وبيعة الرضوان.

(السادس) أن لا يشفع فيه أحد.

(السابع) أن لا يغفر له الله)[٦٢].

قال الناظم:

نسأله سبحانه حسن الختام		والفوز بالجنة في أعلى مقام
وأن يصلي وأن يسلما		على الذي ارتقى إلى فوق السما
وآله وصحبه الكرام		وتابعيهمُ من الأعلام

سأل الله تعالى أن يختم له بالحسنى وينيله الفوز بفراديس الجنان، وأن يصلي ويسلم على سيدنا محمد الذي ارتقى إلى سدرة المنتهى، وعلى آله وصحابته الكرام ومن تبعهم وسلك سبيلهم من الأئمة الأعلام.

حشرنا الله في وفد الكرامة وفد أفضل الأنام، ومنَّ علينا بجواره في جنات النعيم.

وأقف هنا في نهاية خلاصة الفوائد من أمهات العقائد وأسأل الله القبول.

---

[٦١] [النساء: ٤٨].

[٦٢] القوانين الفقهية (ص: ١٥).